

﴿ قرطاجة ﴾

تقدم لنا في الكلام على الفينيقيين ذكر هذه المدينة العظيمة وهي أشهر مدائنهم وأوسعها ظلاً وأمنها جانباً وأعزها سلطاناً وأغزرها ثروة وقد التفت حولها طواريء الفينيقيين وانتشرت منها إلى كل وجه من المعمور فاستوتت على مقاليد التجارة والصناعة واحتجبت جباية الأقاليم البرية والبحرية حتى إذا تأذن الله بانقراض دولتهم في فينيقية بقيت خلفاً منها وقارعت الدهر أزماناً طويلاً إلى أن لحقت بسالفاتها فمادت كتابها كأن لم تكن بالأمس سنة الله في خلقه

وكانت قرطاجة قائمة على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد المغرب وموضعها بين تونس وأوتيكا وهي المعروفة اليوم بغار الملح . ويُطلق اسم قرطاجة على جمهورية عظيمة هي أول جمهورية جمعت بين التجارة والفتوح إلا أنه لم يصل إلينا من تأريخها إلا الشيء اليسير مما استطرده إلى ذكره بعض كتاب اليونان كهيرودوتس وأرسطوطاليس وغيرهما وعندهم نقل كل من تكلم عليها بعد ذلك . وقد جاء ذكرها في شعر فرجيل الروماني لكن في كلامٍ مورى يؤخذ منه أنه كانت قد حدثت في صور اضطراباتٍ سياسية هاجر بسببها قومٌ من أهل تلك الأطراف وقصدوا الساحل الشمالي من إفريقيا وكانت قد أنشئت هناك مدائن أخرى فينيقية منها أوتيكا المقدم ذكرها فاختطوا هذه المدينة في الموقع المذكور وكان ذلك نحو سنة ٨٦٠ قبل الميلاد . وقد أسلفنا في الكلام على الفينيقيين حديث ديدون اخت

بِجَالِيُون وما كان من مهاجرتها الى افريقيا بعد مقتل بعابا وشروعها في بناء قرطاجة وهو موافق لما هنا . قالوا ولما جاءت افريقيا رآها ايراباس ملك الجاتوليين وهم سكان تلك الناحية فطلبها للزواج فامتعت فلما الح عليها طمنت نفسها بخنجر فماتت . وكان القرطاجيون يجعلونها في عداد الآلهة ولما عندهم هيكلكانوا يجتمعون فيه للمشورة

ولما استقر الفينيقيون في تلك الارض اخذوا يتبسطون فيها شيئاً بعد شيء بحيث لم يأت عليهم الا نحو نصف قرن حتى تملكوا جانباً عظيماً منها واوغلوا في داخلها الى مدى بعيد ووزعوا طوارئهم بين تلك الامم الهمجية من الليبيين والزواكين وغيرهم وكان غالبهم من القبائل الرحل فامتزجوا بهم وعودهم حرث الارض وسكنى المدر ولم تلبث تلك الارض الخصبية ان اصبحت باسرها مباءة لهم وكانت طوارئهم هناك بمنزلة احلاف متضافرة تستظل جميعها تحت لواء قرطاجة

ثم ان القرطاجيين طمعت انفسهم الى التبسط شرقاً فزحفوا الى جهة قورين بساحل برقة وهي طارئة يونانية قديمة فكانت بين القريتين وقائع دامية وفي آخر الامر استولوا على جميع الارض الواقعة بين خور سدره وخور قابس . وكان غرضهم من الاستيلاء على هذه الاماكن التدرع الى توسيع تجارتهم والايغال بها الى داخل افريقيا دون التملك لانهم كانوا على غير ثقة من انفسهم بالقدرة على ضبطها وحمايتها وانما كان معظم وكدهم منصرفاً الى امتلاك الجزر لانهم يستطيعون ان ينعموها باساطيلهم فافتتحوها سردينيا وهي افضل طوارئهم ثم جزر الباليار (اي الرماة) ومالطة وكركسكا وجزراً اخرى

صغيرة في البحر الرومي واستولوا على الجانب الغربي من صِقْلِيَّة وبنوا فيها
يقال الى الجزر السعيدة وهي المعروفة بالجزائر الخالدات وجزيرة مُدَيْرَة
وتوابعها في الاتلنتيك وبنوا طوارثهم في اسبانيا والسواحل الغربية من افريقيا
وغيرها . ولخفظ هذه الفتوح لم يكن لهم بدٌّ ان يجهزوا اساطيل عظيمة
وجيشاً عديداً وكان اكثر جيشهم من المتطوعة وبجارتهم من العبيد
اما دين القرطاجيين فقد كان مزيجاً من معتقدات الفينيقيين والليبيين
واسماء آلهتهم قلما تختلف عن اسماء آلهة صور . وكان اعظم معبوداتهم زُحَل
ويسمونه بعل مولك او كروُنوس وقيل المراد بعل مولك الشمس وكان
يحرم عليهم ان ينطقوا بهذا الاسم فاذا ارادوا ذكره عبروا عنه بالازلي او
السرمدى وذلك كما يفعل اليهود اذا ارادوا ذكر « يهوفا » فانهم يعبرون عنه
بأدُوناي . ومن الآلهة الفينيقية ملكرت وعشاروت وكانوا يوقدون لملكرت
نيراناً عظيمة كما كان يُصنع في كل طارئةٍ من طوارثهم ويرفعون اليه هدايا
ثمينة يبعثون بها الى هيكله في صور . وكان لهم في كل سنة ضحايا بشرية
يترضونه بها واذا نزلت بهم كارثةٌ شديدة ذبحوا له اعز الناس عندهم .
وذُكِرَ انهم لما فشلوا في احدى حروبهم في صِقْلِيَّة توهوا ان ذلك كان عقاباً
لهم من ملكرت لتتصيرهم في توجيه الهدايا الى هيكله في صور فارسلوا اليه
اموالاً ونفائس لا تُحصى حتى جردوا الهياكل من اغشيتها الذهبية . ثم انهم
كانوا قبل ذلك قد اصطلحوا على ان يفتدوا الاطفال التي يضحونها له عادةً
بعبيدٍ يشترونهم بالثمن يخافوا ان يكون هذا ايضاً مسبباً لفضحه فضحوا له
مشتي رجلٍ من اشرف أسرهم . وروِي عن انبيال انه لما هم بالحرب في

ايطاليا بلغه ان ولده قد عين لان يكون ضحية في تلك السنة فقال الان قد
ارصدت للالهة اكرم ذبيحة ترضيها

اما حكومتهم فكانت مؤلفة من الاشراف وارباب الثروة لكن يمازجها
شيء من النظام الديمقراطي وكان مرجع الاحكام فيها الى مجلس شيوخ
يتألف من نحو ثلاث مائة عضو من الاعيان ويرأسه نائبان يجدد انتخابهما
سنة فسنة وكل ذلك على تفاصيل لم يبق سبيل الى تحقيقها لغياب اصولها
وكذلك موارد الدخل وكيفية توزيع الاتاوات والضرائب مما يذكره
المؤرخون على سبيل الحدس والتقريب فلا نطيل بالكلام عليه

وكان من وكذ قرطاجة ان تحتكر لنفسها جميع موارد التجارة في الغرب
فكانت تبعد في مرمى طوارئها وتجهد في دفع الاجانب عن كل موضع تصل
بضائعها اليه . وكانت تجارتها في البر على القوافل تستعين على خفارتها بالقبائل
الرحل المجاورة لخور قابس وما يليه من الساحل فكان القرطاجيون يسافرون
شرقاً الى مصر وجنوباً الى نواحي الزاب وما وراء ذلك . واما تجارتها البحرية
فكانت مقصورة في الغالب على طوارئها فكانت سفنها ترسو على جميع
فرض البحر الرومي وتتجاوزها الى الحدود الشمالية من اسبانيا ثم تنتهي في
الاتلنتيك من الجهة الواحدة الى شواطئ بريطانيا ومن الجهة الاخرى
الى سواحل غينيا

وكان لا يزال في انفس القرطاجيين شيء من الاستيلاء على بقية
صقلية لما هي عليه من الخصب والغنى فلما توالى انتصاراتهم وعظمت دولتهم
ابرموا محالفة مع أحشويرش (زركسيس) الاول ملك فارس سنة ٤٨٠ وكان

ينوي الغارة على بلاد اليونان وتواطأوا معه على ان يجيشوا على صقلية في حين حشده على اليونان فانضموا الى الاتروريين من طوائف ايطاليا بقيادة امليكار احد مشاهير قوادهم وابجروا الى صقلية والتحم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على القرطاجيين كما كانت الدائرة في حرب اليونان على الفرس في حديث ليس هنا موضعه . فاضطروا الى الصلح على غرامة الفى وزنة من الفضة (نحو احد عشر مليون فرنك ونيّف) والزموم الفآء الضحايا البشرية لآلمتهم وان ينبتوا تذكاراً لهذا الصلح هيكلين احدهما في قرطاجة والآخر في سرقوسة احدى مدن صقلية

ولبثوا بعد ذلك في سكون مدة سبعين سنة ثم استأنفوا الغارة على صقلية فناهضهم ديونيسيوس السرقوسي فكانت بين الفريقين ثلاث وقائع هائلة وذلك من سنة ٤١٠ الى سنة ٣٦٨ هلك فيها من جيش القرطاجيين خلق لا يحصى وآخر الامر عقد الصلح بينهما على ان يلزم كل فريق حدوده الاولى فبقي القرطاجيون مستولين على ثلث الجزيرة

وحدثت بعد ذلك قتن متوالية في صقلية فكانت القرطاجيون عند حدوث كل فتنة ينهضون للغارة على بقية الجزيرة فيرجعون بالخيبة الى ان كانت الفتنة الكبرى سنة ٢٦٨ قبل الميلاد حين ثار الجيش في سرقوسة واستولى على مسينا ثم اوقد الثورة في عامّة الجزيرة فانقسم الصقليون الى حزبين احدهما مع الثوار والآخر عليهم وانضم القرطاجيون الى هذا الحزب فكانوا يداً واحدة على الثوار فاستغاث هؤلاء بالرومان ونشبت الحرب بين الجانبين فكانت الغلبة للثائرين وألجئ القرطاجيون الى الخروج من الجزيرة

من أين اخذ پستور (٥٥٤)

وكان ذلك بدء الحروب المشهورة بين القرطاجيين والرومان المعروفة بالحروب الفينيقية (Guerres puniques) . وتوالت الوقائع بعد ذلك بين الطائفتين تارة في البر وتارة في البحر وكان الفوز في أكثرها للرومان واخيراً أبرم الصلح على غرامة فادحة كان من اعقابها عجز القرطاجيين عن أداء رواتب الجيش وذلك نحو سنة ٢٤٠ فثاروا عليهم وشايهم فريق من الرعية كانت قد اشتدت عليهم المضايقة في اثناء الحرب فاضطرت الفتنة الداخلية في البلاد ودامت مدة ثلاث سنوات انتشرت في اثنائها الى سردينيا فكانت سبباً في خروجها من ايديهم واستولى الرومان عليها غنيمة باردة (ستأتي البقية)

من أين اخذ پستور

جاء في احدى المجالات العلمية كلام في معنى هذا العنوان فاحببنا تعريبه لما فيه من الفائدة قالت
من المشهور ان پستور هو المكتشف لجراثيم الاختمار في المواد العضوية والواضع لهذا العلم في الزمن الحالي ولكننا عند البحث نجد انه لم يفعل في هذا الشأن سوى انه استقرى اقوال من سبقه واخذ من مجموعها اصلاً بنى عليه وفرع عنه وبذلك انطمس ذكر من جاء قبله واصبح الامر كله منسوباً اليه مع ان جميع ما ذكره قد تقدمه فيه غيره من زمن طويل خلا ان ما قالوه كان ينقصه القياس النظري وهو كل ما فعله پستور وذلك انه كان من المعلوم من عهد بعيد ان الاختمار في الخمر والسوائل